

ولاية الأمر دراسة فقهية مقارنة

ويؤثركم من لا فضل لكم عليه، ولا يد لكم عنده، تشفعون في الحوائج إذا امتنعت من
طلاّبها، وتمشون في الطريق بهيبة الملوك، وكرامة الأكابر، أليس كل ذلك إنّما نلتموها بما
يُرجى عندكم من القيام بحقّ الله وإن كنتم عن أكثر حقّه تقصرون؟ واستخففتكم بحقّ الأئمة،
فأمّا حقّ الضعفاء فضيّعتم، وأمّا حقّكم بزعمكم فطلبتكم، فلا مالا بذلتموه، ولا نفساً
خاطرتم بها للذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله. وأنتم تتمنّون على الله جدّته
ومجاورة رسله وأماناً من عذابه. لقد خشيت عليكم أيها المتمنّون على الله أن تحلّ عليكم
نقمة من نعماته، لأنّكم بلغتكم من كرم الله منزلةً فضّلتم بها، ومن يعرف بالله لا تكرمون،
وأنتم بالله في عباده تكرمون. وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفرعون، وأنتم لبعض ذمم آبائكم
تفرعون، وذمة رسول الله محقورة (مخفورة)، والعمي والبكم والزمن في المدائن مهملة لا
ترحمون، ولا في منزلتكم تعملون، ولا من عمل فيها تعينون. وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة
تأمنون، كل ذلك ممّا أمركم الله به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون. وأنتم أعظم
الناس مصيبةً؛ لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تسعون، ذلك بأنّ مجاري الأمور
والأحكام على أيدي العلماء بالله، الأمناء على حلاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك المنزلة،
وما سلبتم ذلك إلاّ بتفريقكم عن الحقّ، واختلافكم في الألسنة بعد البيّنة الواضحة، ولو
صبرتم على الأذى، وتحملتم المؤونة في ذات الله، كانت الأمور عليكم تزد، وعنكم تصدر،
وإليك ترجع، ولكنكم مكّنتم الظلمة من منزلتكم، وأسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون
بالشبهات، ويسرون في الشهوات، سلّطهم على ذلك فراركم من الموت، وإعجابكم بالحياة التي
هي مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم، فمن بين مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشته
مغلوب، يتقلّبون في الملك بآرائهم، ويستشعرون الخزي بأهوائهم، اقتداءً بالأشرار، وجرأةً
على الجبار، في كل بلد منهم على منبره خطيب مصقع. فالأرض لهم شاغرة، وأيديهم فيها
مبسوطة، والناس لهم خول، لا يدفعون يدلامس، فمن بين جبار عنيد، وذئ سطة على الضعفة